

oboeikan.com

من الإشارات الكونية في سورة العنكبوت

(١) التأكيد أن الله (تعالى) هو الذى يبدئ الخلق ثم يعيده، وأن ذلك على الله يسير، ونحن نرى صورة مصغرة لذلك فى دورة الحياة والموت التى تتكرر بالتناسل المستمر إلى أن يشاء الله، ودورة تخلق أجرام السماء وإفنائها إلى دخان الكون، وإعادة خلقها منه بإرادة الله (تعالى)، ودورة الماء حول الأرض، ودورة الصخور، ودورات تشكل سطح الأرض، ودورات تخلق كل من المادة والطاقة وتبادلها، وإفنائها، وإعادة خلق كل منهما، إلى غير ذلك من دورات.

(٢) الإشارة إلى أن السير فى الأرض، وتأمل صخورها، ودراسة بقايا الحياة فى تلك الصخور هى وسيلة تعرف الإنسان على تاريخ الأرض، وعلى كيفية بدء الخلق، وهذا ما أثبتته الدراسات فى مجال علوم الأرض.

(٣) تأكيد أن النشأة الآخرة بعد تدمير الكون سوف تسير على الخطى نفسها التى بدئ بها الخلق، وتتبع النظام نفسه.

(٤) تأكيد أن بيت العنكبوت هو أوهن البيوت على الإطلاق من الناحيتين المادية والمعنوية، وهو ما أثبتته الدراسات المتأخرة فى علم دراسة حيوانات الأرض.

(٥) هذا بالإضافة إلى العديد من الإشارات التاريخية والنفسية التى تقع من الدراسات العلمية فى الصميم، ولكنها تخرج عن إطار دراستنا للإشارات الكونية فى كتاب الله.



﴿ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَامِينَ ﴾
﴿ ٨٧ ﴾

﴿ وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾

[ص: ٨٧ - ٨٨]

﴿... كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْتًا وَإِنْ أَوْهَنَ

الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

[العنكبوت: ٤١]

من الإشارات الكونية في سورة العنكبوت - والتي سوف نتناولها -
هي التأكيد على أن بيت العنكبوت هو أوهن البيوت على الإطلاق من
الناحيتين المادية والمعنوية، وهو ما أثبتته الدراسات المتأخرة في علم دراسة
حيوانات الأرض.

العنكبوت في منظور العلم

العنكبوت حيوان من مفصليات الأقدام (Arthropoda)، يصنف
في طائفة العنكبيات (Class Arachnida) التي تجمع رتبة العناكب أو
العنكبوتيات (Order Araneida) مع عدد من الرتب الأخرى التي
تشمل مجموعات العقارب، والفاش، والقراد.

والعنكبوت (Spider) ينقسم فيه الجسم إلى مقدمة يلتحم فيها
الرأس مع الصدر، ومؤخرة غير مقسمة تشمل البطن. وتحمل المقدمة
أربعة أزواج من الأقدام، وزوجين من اللوامس، وزوجا من القرون
الكلائية (Chelicerae) على هيئة الكماشة أو المخالب التي تحتوى
على غدد السم، ويفصل مقدمة الجسم عن مؤخرته خصر نحيل.

وللعنكبوت عيون بسيطة يصل عددها إلى الثماني، وقد يكون
أقل من ذلك، وهو حيوان مفترس يعيش على أكل الحشرات، وله
جلد سميك مغطى بالشعر، ينسلخ عنه من سبع إلى ثمانى مرات حتى
يصل إلى اكتمال النضج. وعلماء الحيوان يعرفون اليوم أكثر من ثلاثين



ألف نوع من العناكب التى تتباين فى أحجامها (بين أقل من المليمتر والتسعين مليمترا) وفى أشكالها، وألوانها، ومعظمها يحيا حياة برية فردية فى الغالب إلا فى حالات التزاوج وفسس البيض عن الذرية، وتمتد بيئة العناكب من مستوى سطح البحر إلى ارتفاع خمسة آلاف متر، وللعنكبوت ثلاثة أزواج من نتوءات بارزة ومتحركة فى أسفل البطن لها ثقب دقيقة يخرج منها السائل الذى تصنع منه خيوط نسيج البيت الذى يسكنه، ولذلك تعرف باسم المغازل، وهذه المادة السائلة التى تخرج من عدد من الغدد الخاصة إلى خارج جسم العنكبوت عبر مغازل المؤخرة تجف بمجرد تعرضها للجو، وينشأ عن جفافها خيوط متعددة الأنواع والأطوال والشدة، تختلف باختلاف الغدد التى أفرزتها.

وقد يمكث العنكبوت فى بيته الذى يزاول فيه جميع أنشطته الحياتية، وقد يتخذ له عشاً أو مخبأ غير البيت يرتبط به بخيط يعرف باسم خيط المصيدة. ويهرب إلى هذا المخبأ فى حالات الخطر.

من الدلالات العلمية للنص الكريم

أولاً: الإشارة إلى العنكبوت بالإفراد

جاء فى لسان العرب تحت مادة (عنكب) أن (العنكبوت) دويبة تنسج فى الهواء وعلى رأس البئر نسجا رقيقا مهلهلا، مؤنثة، والغالب أن لفظه (العنكبوت) اسم للواحدة المؤنثة المفردة، والجمع (العناكب). وتسمية السورة الكريمة بصياغة الإفراد (العنكبوت) يشير إلى الحياة الفردية لهذه الدويبة فيما عدا لحظات التزاوج، وأوقات فقس البيض، وذلك فى مقابلة كل من سورتى النحل والنمل، والتى جاءت التسمية فيها بالجمع للحياة الجماعية لتلك الحشرات.

ثانياً: فى قوله (تعالى): «... اتخذت بيتا...»

فى هذا النص القرآنى الكريم إشارة واضحة إلى أن الذى يقوم ببناء البيت أساسا هى أنثى العنكبوت، وعلى ذلك فإن مهمة بناء بيت العنكبوت هى مهمة تضطلع بها

إننا العنكب التي تحمل في جسدها غدد إفراز المادة الحريرية التي ينسج منها بيت العنكبوت. وإن اشترك الذكر في بعض الأوقات بالمساعدة في عمليات التشييد، أو الترميم، أو التوسعة، فإن العملية تبقى عملية أنثوية محضة، ومن هنا كان الإعجاز العلمي في قول الحق (تبارك وتعالى): «...أتحذت بيتا...».

ثالثا: في قوله (تعالى): «... وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت...»

هذا النص القرآني المعجز يشير إلى عدد من الحقائق المهمة التي منها:

(١) إن بيت العنكبوت هو من الناحية المادية البحتة أضعف بيت على الإطلاق؛ لأنه مكون من مجموعة خيوط حريرية غاية في الدقة تشابك مع بعضها البعض تاركة مسافات بينية كبيرة في أغلب الأحيان، ولذلك فهي لا تقى حرارة شمس، ولا زمهرير برد، ولا تحدث ظلا كافيا، ولا تقى من مطر هائل، ولا من رياح عاصفة، ولا من أخطار المهاجمين، وذلك على الرغم من الإعجاز في بنائها، فخيوط بيت العنكبوت حريرية دقيقة جداً، يبلغ سمك الواحدة منها في المتوسط واحداً من المليون من البوصة المربعة، أو جزءاً من أربعة آلاف جزء من سمك الشعرة العادية في رأس الإنسان، وهي على الرغم من دقتها الشديدة أقوى خمس مرات من نظيرها من الصلب، وتتميز بمقاومة للشد أكبر من مثلتها من الصلب سواء نسبت تلك المقاومة لوحدة الحجم أو لوحدة الوزن من الخيط المختبر، بل إن الدراسات الحديثة قد أثبتت أن الخيط من حرير عنكبوت من نوع نيفلا (Nephila) وهو من مجموعة الحائك الدوار (Orbweaver) يعد أقوى ثلاث مرات من مثيله المصنوع من المادة المعروفة باسم كيفلار (Kevlar)، وهي مادة ذات أساس بترولي تستخدم في صناعة الصديرية الواقية من طلقات الرصاص.

لذلك يعد حرير العنكبوت واحداً من أقوى المواد الموجودة على سطح الأرض؛ لأنه يتحمل شداً يصل إلى ٤٢٠٠٠ كيلوجرام على السنتيمتر المربع، مما يكسبه قابلية هائلة للمط (Stretching)، ويعطيه قدرة على الإيقاع بالفريسة من الحشرات دون أن يتمزق، خاصة وأن العنكبوت يبنى بيته من صفائح تضم الواحدة منها عدداً من هذه الخيوط المضفرة، والمجدولة تجديلاً قويا، ولذلك قال ربنا (تبارك وتعالى) أوهن

البيوت، ولم يقلل أو هن الخيوط، وبقي بيت العنكبوت هو أو هن البيوت وأضعفها على الإطلاق، على الرغم من شدة خيوطه.

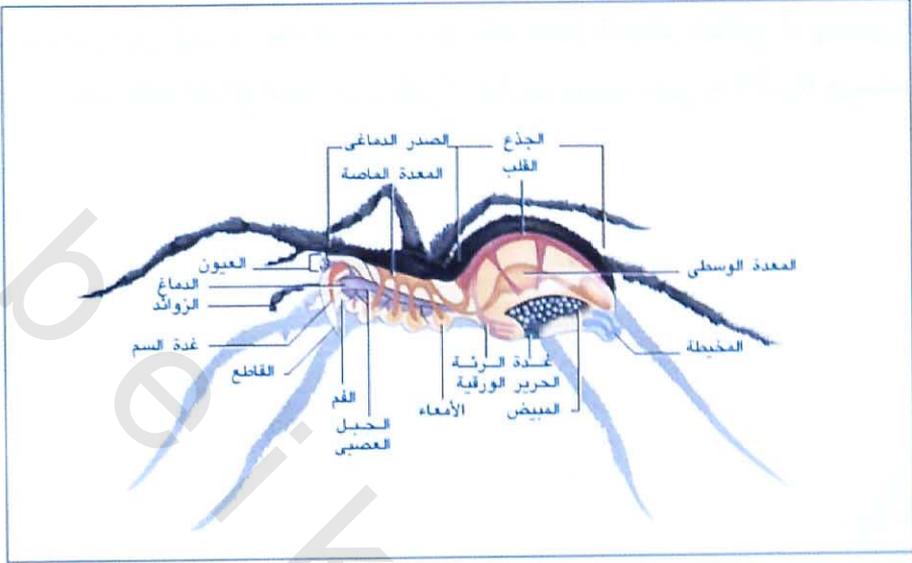
(٢) إن بيت العنكبوت من الناحية المعنوية هو أو هن بيت على الإطلاق؛ لأنه بيت محروم من معاني المودة والرحمة التي يقوم على أساسها كل بيت سعيد؛ وذلك لأن الأثني في بعض أنواع العنكبوت تقضى على ذكرها بمجرد إتمام عملية الإخصاب، وذلك بقتله وافتراس جسده؛ لأنها أكبر حجماً وأكثر شراسة منه، وفي بعض الحالات تلتهم الأثني صغارها دون أدنى رحمة، وفي بعض الأنواع تموت الأثني بعد إتمام إخصاب بيضها الذي عادة ما تحتضنه في كيس من الحرير، وعندما يفقس البيض تخرج الصغار (Spider lings) فتجد نفسها في مكان شديد الازدحام بالأفراد داخل كيس البيض، فيبدأ الإخوة الأشقاء في الاقتتال من أجل الطعام أو من أجل المكان أو من أجلهما معا فيقتل الأخ أخاه وأخته، وتقتل الأخت أختها وأخاها حتى تنتهي المعركة ببقاء عدد قليل من العنكبكات التي تنسلخ من جلدها، وتمزق جدار كيس البيض لتخرج الواحدة تلو الأخرى، والواحد تلو الآخر بذكريات تعيسة، لينتشر الجميع في البيئة المحيطة، وتبدأ كل أنثى في بناء بيتها، ويهلك في الطريق إلى ذلك من يهلك من هذه العنكبكات.

ويكرر من ينجو منها المأساة نفسها التي تجعل من بيت العنكبوت أكثر البيوت شراسة ووحشية، وانعداماً لأواصر القربى، ومن هنا ضرب الله (تعالى) به المثل في الوهن والضعف لافتقاره إلى أبسط معاني التراحم بين الزوج وزوجه، والأم وصغارها، والأخ وشقيقه وشقيقته، والأخت وأختها وأخيها..!!
رابعاً: في قوله (تعالى): «... لو كانوا يعلمون»

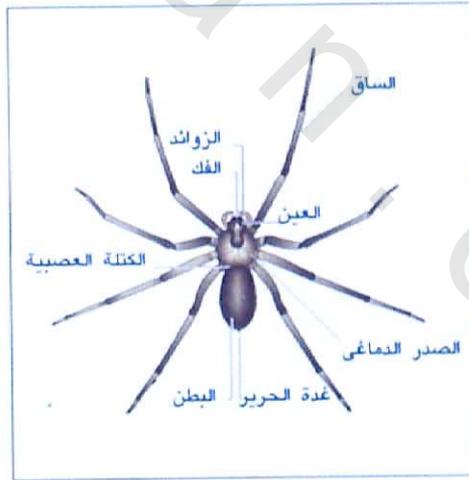
هذه الحقائق لم تكن معروفة لأحد من الخلق في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده، حيث لم تكتشف إلا بعد دراسات مكثفة في علم سلوك حيوان العنكبوت استغرقت مئات من العلماء لعشرات من السنين حتى تبلورت في العقود المتأخرة من القرن العشرين، ولذلك ختم ربنا (تبارك وتعالى) الآية الكريمة بقوله «... لو كانوا يعلمون».

وعلى ذلك فإن الوصف القرآني لبيت العنكبوت بأنه أوهن البيوت، هذا الوصف الذي أنزل على نبي أمي (صلى الله عليه وسلم)، في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين من قبل ألف وأربعمائة سنة يعتبر سبقاً علمياً لا يمكن لعاقل أن يتصور له مصدراً غير الله الخالق الذي أنزل القرآن الكريم بعلمه على خاتم أنبيائه ورسوله.





تشريح العنكبوت



رسم توضيحي للعنكبوت



أوهن البيوت



بيت العنكبوت

﴿ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ

اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ... ﴾

[الروم: ٨]

